

أبحاث في الدراسات الدفاعية

العدد الثاني - إبريل 2026



أكاديمية جوعان بن جاسم للدراسات الدفاعية
Joaan Bin Jassim Academy for Defence Studies

تسوية الصّراعات وبناء السلام



تسوية الصّراعات وبناء السلام

أ.د. محمد الشرقاوي

أستاذ تسوية الصراعات والدبلوماسية
ورئيس برنامج الدكتوراه
أكاديمية جوعان بن جاسم للدراسات الدفاعية



أبحاث في الدّراسات الدفاعية

سلسلة ورقات بحثية تصدرها عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي بأكاديمية جوعان بن جاسم للدراسات الدفاعية. وتهدف الى تناول المفاهيم الخاصة بالدراسات الدفاعية وتقديمها الى الباحثين والعسكريين وجميع المهتمين بإعتبارها حقلاً معرفياً يتميَّز بخصوصية مناهجه والمواضيع التي يدرسها. وتجمع مساهمات فريف من الأكاديميين والموجهين العسكريين والطلاب المتخصّصين في الدّراسات الدفاعية. وتسعى كذلك الى تسهيل الوصول الى الأدبيات والنقاشات الفكرية لهذا التخصص الأكاديمي الذي يعرف تحولات معرفية في علاقته بمجالات علمية متنوعة. تتميز «أبحاث في الدّراسات الدفاعية» بأصالة مزدوجة باعتبارها عملاً مكتوباً باللغة العربية في مجال علمي لا تزال الدراسات العربية لم تنصفه حق أهميته، من جهة، وبمنهجها التحليلي لتقديم التعريفات الخاصة بشؤون الدفاع والنقاشات النظرية التي تُثيرها معظم المصطلحات المختارة، من جهة ثانية.

مدير النشر:

العميد الركن (د) راجح محمد بن عقيل النايت

المسؤول العلمي:

أ.د. إبراهيم اسعدي

رئيس التحرير:

أ.د. محمد الشرقاوي

التصميم والطباعة:

مطابع القوات المسلحة

الإخراج:

معاذ سعدي سليمان

ردم:

ISSN: 3080-7425

للتواصل والنشر:

notebooksinDS@jbj.edu.qa

هاتف:

974 - 40436834

الآراء الواردة في الأبحاث المنشورة تعبر عن وجهة نظر كاتبها فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي الأكاديمية. جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية جوعان بن جاسم للدراسات الدفاعية.





المحتويات

علم تركيبي متعدّد
التخصصات
35

تمهيد
7

أصوات نقدية
47

ماهية تسوية الصراعات
11

خطوة إلى الأمام.. نحو
صراعلوجيا
53

روافد دراسات الصّراع
والسّلام
17

الصّراع والسّلام:
مادّة للبحث العلمي
25

تمهيد





تمهيد

يقوم التخصص الأكاديمي المتنامي في تسوية الصراعات، باعتباره علمًا اجتماعيًا ناشئًا بين القرنين العشرين والحادي والعشرين، على اعتبارات نفسية ومجتمعية وبنوية في دائرة التفاعل بين الأفراد والبنية السياسية والاقتصادية والثقافية من حولهم، ومآلات تحوّل منشودٍ في الانطباعات والسرديات والمواقف والعلاقات من أجل تكريس نَفْسٍ عمليٍّ أو برغماتيٍّ إزاء معادلة الصراع والسلام. وعند تأمل التطور الذي شهدته تسوية الصراعات الدولية (Global conflict resolution) (في منحها البنيوي الشامل) أو تسوية التّراعات (Dispute resolution) (في منحها التعاقدية أو المؤسسية أو الأسري الأصغر)، فإنه يجسّد بنية معرفية سواء في التدريس والقيام بالأبحاث أو خلال الممارسة الميدانية في مناطق الأحداث المضطربة. وينطوي بالتالي على أسئلة مفتوحة تتناولها هذه الدراسة بشأن هوية هذا العلم الحديث، وعناصر تركيبه، وحصيلة الالتفاف أو التضامن بين عدة علوم اجتماعية وإنسانية في التعامل مع سلوك العنف والانتقام والإقصاء والتطرف.

1. Stephen Ryan, Peace and Conflict Studies Today, The Global Review of Ethnopolitics, Vol. 2 no. 2, January 2003, p.78

ماهية
تسوية
الصراع





ماهية تسوية الصراعات

إلى التّصعيد والتّصعيد المتبادل خلال تطوّر الصراع عبر الزمن، وفي التاريخ والثقافة والخطاب الإعلامي، وكيف يتعزّز ميزان العداء المتبادل بحوافز ثقافية وسردية لأنصاف الحقيقة هنا وهناك من ناحية، يقوم أيّ نزاع حول مسألة محدّدة يمكن حلّها عبر إحدى الطرق التالية من ناحية أخرى:

- **التفاوض:** مناقشة مباشرة بين الأطراف دون وجود طرف ثالث.
- **الوساطة:** طرف ثالث محايد يتولّى الوساطة ويُيسّر النقاش، لكنه لا يفرض حلاً.
- **التحكيم:** يتولّاه طرف ثالث محايد يستمع إلى المرافعات ويفحص الأدلة ويصدر قرارًا ملزمًا.
- **التقاضي:** استخدام النظام القضائي (القاضي/المحكمة) لتحديد النتيجة.

تبعاً لهذا التمييز بين الصراع والنزاع، تتباين المنطلقات والآليات بين نسق تسوية الصراع الذي يتطلب التعامل مع الأسباب الجذرية ومعادلة راجح-راجح لجميع الأطراف خارج حسابات المعادلة الصفرية من ناحية، وتسوية النزاع التي غالبًا ما تكون رسمية عبر الأنظمة القضائية التقليدية، أو قد تكون خارج هذه الأنظمة القضائية ضمن نسق بديل

تتباين التّسميات العربية بين «فضّ الصّراع/النّزاع»، و«حلّ الصّراع/النّزاع»، و«تسوية الصّراع/النّزاع» وفقاً لتكريس ضمني من قبل كليات الحقوق وأقسام علم السياسة والباحثين والمترجمين في الدول العربية حسب قناعتهم بوجود مرجعية غربية مركزية وفوارق مفترضة بين (Conflict/dispute resolution) و (Conflict/dispute settlement). في الوقت ذاته، تختلف فلسفة التدريس بين الجامعات في الولايات المتحدة وأوروبا بين نسق «فضّ الصراع» (Conflict resolution) (جامعات جورج ميسن وجورج تاون وسان ديغو مثلاً) ونسق «فضّ النزاع» (Dispute resolution) (جامعتا بوسطن الأمريكية وليستر البريطانية) حسب نطاق التمحيص العلمي المنشود في التعامل مع الصراع ضمن سياقه الاجتماعي والسياسي والثقافي العام، أو النزاع ضمن سياقه القانوني والتعاقدية الضيق.

ينطوي أيّ صراع (Conflict) على جملة قرائن وتعميدات، ويتداخل في دلالاته مع دلالة النزاع (Dispute). وينبغي التمييز بين الصراع الذي ينم عن حالة مستمرة من عدم الانسجام وتفاقم نزاعات فرعية وعن جذور عميقة تجد روافدها في تباين المصالح وفي لجوء الأطراف



استراتيجيات الوساطة على اختلاف أشكالها التحكيمية وغير التحكيمية في إيجاد مناخ التقارب، ونشر أجواء الثقة بينهم، ودفع دينامية الصراع والنزاع نحو خفض التصعيد ثم آفاق المصالحة، وبناء السلام ضمن النسق المتنامي المعروف بتحوّل الصراع (Conflict Transformation).

تمثل تسوية الصراعات ودراسات السلام وجهين للعملة ذاتها ضمن حقل معرفي يتّسم ببعض الخصوصيات والطموحات، مقارنةً مع بقية العلوم الاجتماعية المتداخلة معه، في قرينة الاهتمام بفهم العنف في الطبيعة البشرية. ويركز بالأساس على «قضايا السلام والصراع، وتعدد التخصصات المنضوية تحت لوائهما، ومنهجها الشمولي المدمج مع المناهج الكمية والتجريبية، والتزامها المعياري بتحليل شروط التغيير الاجتماعي والسياسي السلمي»² ووفقا لما يعتدّ به برنامج التفاوض في جامعة هارفارد الأمريكية مثلا، ينطوي مفهوم تسوية الصراعات على العملية الرسمية أو غير الرسمية التي يستخدمها طرفان أو أكثر لإيجاد حلّ سلمي للصراع القائم بينهم. بيد أن ثمة العديد من التحديات

تسمى تسوية النزاعات البديلة. (Alternative Dispute Resolution ADR) ويعتقد بعض الباحثين أن مجال تسوية الصراعات الدولية شهد نضجه في تسعينيات القرن العشرين، وانبثق ضمن حركة «تسوية النزاعات البديلة» الأوسع نطاقاً في الولايات المتحدة من إصلاحات السياسة وبرامج الإدماج الاجتماعي في الستينيات والسبعينيات، قبل أن يزدهر مجال تسوية الصراعات الدولية بعد سقوط جدار برلين عام 1991 ونهاية الحرب الباردة.²

غير أنّ هذه التفرعات النظرية تنمّ عن أحدث تآلف أكاديمي في تطوّر العلوم الاجتماعية والإنسانية منذ منتصف القرن العشرين عند تقاطع اهتماماتها المعرفية في دراسة الأسباب وقوّة الدّفع في تصعيد أيّ صراع أو نزاع، بغضّ النظر عمّا إذا كان ينطوي على ضياع حقوق والتزامات معينة وفقا لنصّ التعاقد، أو على استخدام العنف، أو يُديم مظالم اجتماعية تستدعي إعادة تركيب ميزان قوة جديد بين الطّرف الأضعف والطّرف الأقوى. ويتوخّى أيضا توجيه آليات التغيير الاجتماعي في تطوّر السّرديات والعلاقات بين أطراف النزاع من خلال تحسين الفرص لنجاح

2. Eileen F. Babbitt, The Evolution of International Conflict Resolution: From Cold War to Peacebuilding, Negotiation Journal, October 2009, p. 540

3. Paul Rogers, and Oliver Ramsbotham, Then and Now: Peace Research-Past and Future, Political Studies, Vol. 47, no. 4, 1999, p. 742

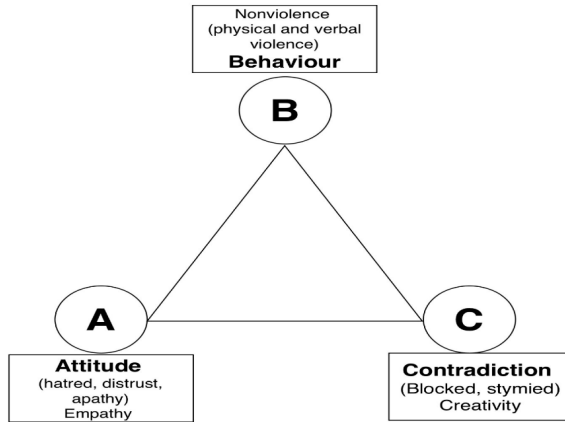


تسوية الصّراعات وبناء السلام

الأطراف، ولا تعني مجرد الوقاية (Prevention) أو تفادي (Avoidance) أيّ صراع فرضية التهديد، بل تعني سياسات تستشرف ردود الأفعال وبالتالي تتجنب الصراع⁵. ويقوم مفهوم تسوية الصراعات لدى غالتون على أنّ الصراع يقوم ويتطوّر ضمن مثلث متكافئ الزوايا: أ، ب، وج، مما يجسّد ثلاثة عناصر: (1) المواقف بما فيها المشاعر والتصورات (والتمثلات، (2) السلوك بما فيه الأفعال وارتكاب العنف أو التحريض عليه، (3) التناقض بمعنى تنافر الأهداف أو المصالح المتعارضة. ويتعيّن على علم تسوية الصراعات بالتالي أن يهندس الحل من خلال مراعاة جميع هذه العناصر، كما يتّضح في الشّكل 1.

المعرفية والعاطفية الشائعة، كثير منها لا يدركها الأطراف، يمكن أن تعمّق حدّة الصراع وتزيد الحاجة إلى فضّه أو تغييره بشكل وبآخر⁴.

يعتدّ أهمّ المنظرين في هذا المجال، ومنهم الأسترالي جون بورتن (John Burton) (1915-2010) والترويجي يوهان غالتون (Johan Galtung) (1930-2024)، بأنّ حلّ تسوية الصراعات ينطلق من فرضية أن «السلوكيات العدوانية والصراعات نتيجة مباشرة لعدم توافق بعض المؤسسات والمعايير الاجتماعية مع الاحتياجات الإنسانية الفطرية Basic human needs»، وبالتالي، يعني الوصول إلى فهم «جذور المشكلات ومعالجتها بطرق تعزّز الأهداف طويلة المدى لجميع



الشكل 1: مفهوم غالتون لمثلث السلام

4. Katie Shonk, What is Conflict Resolution, and How Does It Work? Program on Negotiation, Harvard Law School, 2025
5. John Burton, Conflict Resolution: The Human Dimension, The International Journal of Peace Studies, Volume 3, Number 1, January 1998



السلام» (Peace Research Journal) عام 1964 في أوروبا، بموازة تأسيس «مجلة تسوية الصراع» (Journal of Conflict Resolution) في الولايات المتحدة من قبل أستاذ الاقتصاد كينيت بولدنج (Kenneth Boulding) عام 1957، وضمت هينتها التحريرية أكاديميين يمثلون علوم الاقتصاد، والجغرافيا، والتاريخ، والعلاقات الدولية، وعلم السياسة، وعلم النفس الاجتماعي، وعلم الاجتماع وغيرها. وكان الإيمان بالتحليل العلمي كترياق للحرب عاملاً قوياً في كتابات بولدنج الذي يعتد بأن: «نقل الصراع من نطاق المعرفة الشعبية إلى مجال المعرفة العلمية له تأثير استقرار، بل يمكن القول إنه تأثير مهدئ... وإذا أمكن تحويل الصراعات الأيديولوجية ولو جزئياً إلى صراعات بين النظريات العلمية، فستكون لدينا فرصة أفضل بكثير لحلها».⁷

ينبه غالتون إلى الفروق الحيويّة بين «السلام السلبي» (Negative Peace) الذي يعني غياب العنف المباشر من ناحية، و«السلام الإيجابي» (Positive Peace) الذي يتحقق بوجود العدالة والمساواة وتبدد العنف البنيوي والعنف الثقافي مثل الفقر والتمييز من ناحية أخرى.⁶ ويشدد على أن العنف البنيوي يظل ظلمًا ضمنيًا في البنيات الاجتماعية، ويتسبب في الأذى لأفراد المجموعة البشرية، ويتعين تفكيكه لتحقيق سلام دائم. وهي فكرة تتلاقى مع أطروحة فيلسوف الحدائبة إيمانويل كانط في كتابه «السلام الدائم: مسودة فلسفية» الصادر عام 1795.

كان غالتون قد أسس «معهد أوصلو لأبحاث السلام» (PRIO) أول مؤسسة من نوعها عكفت على الدراسة المنهجية لشروط إقامة علاقات السلام عام 1959، قبل إطلاقه «مجلة أبحاث

6. Johan Galtung, Peace Studies and Conflict Resolution: The Need for Transdisciplinarity, Transcultural Psychiatry, 2010, 47: 2

7. Kenneth Boulding, The War Trap in Richard Falk et al. Toward a Just World Order, Westview, 1982, p. 283

روافد دراسات
الصّراع والسّلام





روافد دراسات الصّراع والسّلام

يجب أخذها في الاعتبار عند التباحث من أجل تحديد الظروف السّائدة في ساحة المعركة. وهذه العوامل هي: (1) قانون الفضيلة، (2) السماء كنايةً عن الجنّة)، (3) الأرض، (4) القائد، (5) الأسلوب والانضباط.⁸

كانت للصّراع تمثّلات عند الإغريق القدامى في ارتباط الحرب بالقوة والأسطورة، كما كتب هوميروس في ملحمتي «الإلياذة» وهي قصيدة عن حرب طروادة (عام 725 قبل الميلاد)، و«الأوديسة» التي تروي قصة عن أحد النّاجين من الحرب يحاول العودة إلى وطنه (عام 675 قبل الميلاد). واختزل هوميروس الجوانب الأساسية للحالة البشرية في ميثاق البطولة والشرف، إذ غالبًا ما تنشأ الصّراعات نتيجة لتحديات تواجه شرف الشخصية (timê) والسعي وراء المجد (kleos)، وفي قسوة الحرب وعبثيتها وإن كان يتم تصوير الحرب عادة على أنها «طريق للمجد»، إلا أنها تنطوي على عواقب مأساوية، وألم الفقدان، والعنف والمعاناة بشكل عبثي. ويعرض هوميروس بدقّة المشاعر لدى شخصيات مثل هيكتور، الذي يقاتل في معركة خاسرة بدافع الواجب، ضمن قصة مثيرة تسلط الضوء على الثمن

يستمرّ التّحدي الرئيسي في مجال تسوية الصراعات بالحيرة إزاء التعامل مع القوة وكيفية الحد من مضاعفاتها عندما يستخدمها طرفٌ ضد الأطراف الأخرى. فقد كانت قوّة الدفع الرئيسية خلف الصراعات والحروب لدى المجتمعات القديمة التي كانت تعتبرها من «مسلمات» الوجود الفردي والجماعي، وكان تبريرها يُعزى إلى أنّ الطبيعة البشرية «عدوانية» في فطرتها، كما نظّر لها الفيلسوف الانجليزي توماس هوبز (1679-1588) وأنصار مدرسة الواقعية السياسية. ويمكن تعقّب الاهتمام بالصّراعات في الكتابات الكونفوشية القديمة ضمن ما خطّه اللّواء والخبير الاستراتيجي الصيني سان تزو (Sun Tzu) (544-496 قبل الميلاد) في كتابه «فنّ الحرب» الذي تتمحور فكرته الرئيسية حول البعد الاستراتيجي، وأن من يفوز في الحرب هو «من يعرف متى يحارب ومتى لا يحارب. ويفوز من يعرف كيف يتعامل مع القوة الأقوى والأضعف». وأوضح على لسان المعلّم صن أنّ لفن الحرب «أهميّة حيوية للدولة، فهو مسألة حياة أو موت، وهو الطريق إما إلى النّجاة أو الدّمار. ومن ثم فهو موضوع بحث لا يمكن إهماله بأي حال من الأحوال. إذن، فن الحرب تحكّمه خمسة عوامل ثابتة،

8. Sun Tzu, The Art of War, (Translated by Lionel Giles), Project Gutenberg, 2004, p. 29

المتبادل بين الأعداء، بينما يختتم الأوديسا باستعادة أوديسيوس لبيته وتحقيق السلام في إيثاكا.⁹

في سرد مؤثرٍ عن الحرب البيلوبونيسية وقعت شرقي البحر المتوسط بين حلف ديليان بقيادة أثينا وحلف البيلوبونيا بقيادة إسبرطة بين عامي 431 و404 قبل الميلاد للسيطرة على اليونان القديمة، يروي المؤرخ الإغريقي ثيوسيديس (Thucydides) القصة المحزنة عن سكان جزيرة ميلوس، الذين حاولوا ممارسة حقهم في تقرير المصير في مواجهة هيمنة أثينا بعد انسحاب قوات لاكديمونيا من أراضيهم عام 416 قبل الميلاد. وبأسلوب ضيق الأفق للواقعية السياسية الكلاسيكية (Realpolitik) استناداً إلى مقولة ثيوسيديس إن «الأقوياء يفعلون ما بوسعهم، والضعفاء يتحملون ما يجب عليهم»¹⁰، غزت أثينا دولة ميلوس، وقتلت جميع الرجال، وباعت النساء والأطفال عبيداً، واحتلت ميلوس بمستوطنين أثينيين، مما وسع هيمنة أثينا في المنطقة. ويمكن اعتبار هذه الحرب أقدم بادرة هيمنة في العلاقات بين الدول في التاريخ المدوّن.

في المقابل، اعتقد رائد نظرية المثالية السياسية أفلاطون (347-427 قبل



الشكل 2: ثمانية كتب عن الحرب البيلوبونيسية ألفها ثيوسيديس بن أولوروس، وترجمها لاحقاً من اليونانية توماس هوبز

البشري للصراع. ويتناول دور الكبرياء المفرط (Hubris) الذي غالباً ما يكون محفزاً للصراع والسقوط الذي يليه كما حدث للجيش الإغريقي، يصف المآل نحو المصالحة والإجماع بين أطراف الصراع: تنتهي القصائد في النهاية نحو حل للصراعات الرئيسية، غالباً مع التركيز على العودة إلى النظام الاجتماعي أو الإجماع بعد صراع هائل. وتنتهي الإلياذة بهدنة مؤقتة لإقامة جنازة هيكتور، وهي لحظة من الإنسانية المشتركة والاحترام

9. Homer, The Iliad and the Odyssey, (Edited by John Holdren), Core Knowledge Foundation, 2020

10. Thucydides, The Peloponnesian War, (trans. Richard Crawley), The Modern Library, 1951, p. 331



تسوية الصّراعات وبناء السلام



الشكل 3: تمثال نصفي من الجبس لثيوسيديس (400-460 قبل الميلاد) مصنوع من نسخة رومانية لأصل يوناني يعود إلى أوائل 4 قبل الميلاد ويوجد حالياً في قاعة هولكام في متحف بوشكين في روسيا

للتاريخ وهو النسق الطبيعي للتطور بتغير الأمصار والأزمنة، باعتباره رافعة تشييد لنشوء الحضارات وأيضاً جرافة هدم لسقوطها في سياق زمني معين. فخلص إلى وجود صراع أزلي بين البداوة والحضر، وبين العصبية (القوة والتماسك) والدولة (الترف والضعف)، وأن الحروب والغزوات هي أشكال مظهرية لهذا الصراع، وأن الدولة تمرّ بأطوار صعود وسقوط نتيجة لتغير قوة العصبية، وأن الظلم مُفسدُ العمران ومؤذنُ بخراب الدولة. ولم تمثل الحرب، كظاهرة تاريخية في نظره، غايةً بل نتيجةً طبيعيةً للصراع البشري، وحدد أصلها في رغبة الانتقام أو الدفاع

الميلاد) أن من الممكن التوفيق بين المصالح المتعارضة لمكونات المجتمع المختلفة، واقترح ما اعتبره «النظام السياسي الأمثل» بأن يكون عقلاً سياسياً وصائباً يحقق وحدة متناغمة للمجتمع ويسمح لكل فرد فيه بالازدهار، دون أن يكون ذلك على حساب الآخرين. وأوضح في كل من كتابيه «الجمهورية» و«القوانين» أن الانقسام والحرب الأهلية لا يمثلان أعظم الأخطار التي تهدد المدينة، حتى أكثر خطورة من الحرب ضد الأعداء الخارجيين فحسب، بل وأيضاً أن السلام الذي يتحقق بانتصار جزء واحد وتدمير منافسيه لا يُفضل على السلام الاجتماعي الذي يتحقق عبر صداقة وتعاون جميع أجزاء المدينة.» غير أن تصور هذه المدينة الفاضلة، والتي تبناها آخرون في دائرة الفكر الإسلامي مثل الفارابي، لم تُقْم أُسساً ومعايير فعالةً لتنظيم السلوك الفردي والجماعي، وإيجاد ما يقي المجموعة البشرية من التصعيد إلى صراعات مميتة، والحدّ من نطاق العنف السياسي على اختلاف مستوياته وغاياته.

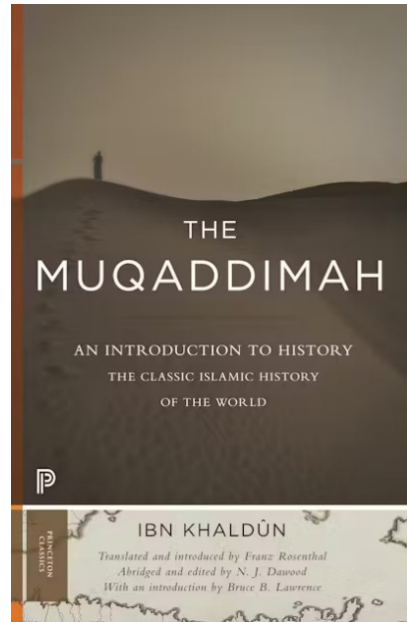
انطلق عبد الرحمن ابن خلدون (1332-1406) في تأسيس علم العمران البشري، انطلاقاً من مشاهداته ودراساته بين مسقط رأسه تونس وعدة أقطار عربية حتى سوريا في حقبة حكم تيمور، من فرضية واقعية تعتدّ بأن الصراع أساسي، بل ومحركٌ



الصراعات وشنّ الحروب من ناحية، ومساعي إدارة أو تسوية الصراعات وتكريس منطلقات المصالحة والتوافق على إمكانيات تحقيق السلام من ناحية أخرى. وهي بالتالي جدليةً مفتوحةً بين إرادة الحرب ومسعى السلام ضمن موجاتٍ متعاقبةٍ على طول الخطّ الأُمدي والأزلي لتنافس قوى الشّر وقوى الخير. كان السفراء المقيمون في الفاتيكان، خلال القرن الخامس عشر الذي مثل عصر النهضة في إيطاليا، يُكَلَّفون بالقيام بالوساطة بين الولايات الإيطالية المتنازعة. وبعد عزم القادة الأوروبيين على إنهاء الحروب الدينية التي اجتاحت الإمبراطورية الرومانية في أوروبا لثلاثين عاماً، تغيرت رؤية الصراع ضمن إدارة الدولة الحديثة في ضوء معاهدة وستفاليا عام 1648 وأفضت المعاهدة إلى إرساء سيادة الدولة الحديثة، والتسامح الديني بين المذاهب الكاثوليكية واللوثرية والكالفينية، وأيضا إلى التوافق على المبادئ الدبلوماسية التي شكلت أساس العلاقات بين الدول الحديثة، مما أثار تحوُّلاً من السلطة الدينية إلى العلمانية في أوروبا، على الرغم من أن الصراع ذاته تسبب في دمار هائل ومجاعات وفقدان أرواح، خاصة في الأراضي الألمانية. واتجهت الجهود لإنشاء مؤسسات وآليات لإدارة الصراعات الدولية، سواء على المستوى النظري

عن النفس، وأنها تتأثر بقوة العصبية وتطور تقنيات القتال، وقد تحدثُ بين طرفين مثل البدو والحضر، كنايةً عن تصوّر أولي للحروب الأهلية أو الحروب بين الدول. وبالتالي، يعتبر ابن خلدون الصراع بمثابة جدلية مستمرة بين القوة والضعف، بين البداوة والحضارة، بين العصبية والترف، وهي التي تشكل دورة حياة الأمم والدول، وتُحتم على الحاكم أن يوازن بين السلطة والعصبية والحكم بالعدل لضمان استمرارية الدولة.

يجسّد التاريخ خطأً متوازياً بين تأجج



الشكل 4: أحدث طلعة من أول ترجمة باللغة الإنجليزية قام بها فرانز روزنتال ونشرتها دار نشر بونتيان عام 1958 بعنوان
The Muqaddimah: An Introduction to History



تسوية الصّراعات وبناء السلام

لتحقيق التوازن (بدلاً من الوحدة) في الشؤون الدولية، أولاً في قارتهم ثم على المستوى العالمي»، كما يذكر في كتابه «نظام العالم» (World Order) الصادر عام 2014. بيد أن بعض نقاط الضّعف في نظام ويستفاليا خلّفت اختلالات في تبادل المعلومات، مما أدى في النهاية إلى صراع في قلب أوروبا، كما يفسّر كريستوفر كلارك في كتابه «المشي أثناء النوم: كيف دخلت أوروبا في حرب عام 1914».¹³ جاءت الدعوة الأخلاقية

أو العملي.¹¹ ويعتدّ جل الباحثين في العلاقات الدولية بأن معاهدة وستفاليا كانت المنشأ للمبادئ الأساسية في العلاقات الدولية الحديثة، والتي تعرف مجتمعة بمصطلح «السيادة الوستفالية».¹²

ييدي هنري كيسنجر المديح لقيام «النظام العالمي» الغربي الذي نشأ بعد صلح وستفاليا بقوله: «منذ نهاية إمبراطورية شارلمان، وخاصة بعد صلح وستفاليا عام 1648، سعى الأوروبيون



الشكل 5: أداء القادة الأوروبيين قسم التصديق على معاهدة وستفاليا في مونستر يوم 15 مايو 1648 (إنجاز الرسام جيرارد تير بورخ)

11. Elizabeth Waterston, A Brief History of International Conflict Resolution: A European Viewpoint, Medicine, Conflict and Survival, Vol. 15, No. 2 (April-June 1999), pp. 157-160
12. Steven Patton, The Peace of Westphalia and it Affects on International Relations, Diplomacy and Foreign Policy, The Histories, 2019
13. Christopher Clark, The Sleepwalkers: How Europe Went to War in 1914, Harper Perennial, 2014



نابليون بو نابارت من خلال استعادة الملكيات، وإقامة توازن للقوى، وقمع القوميات، مما أدى إلى سلام نسبي. وقد توخّت غاية المؤتمر إرساء نظام سياسي وقانوني جديد لأوروبا بعد أكثر من عقدين من الاضطرابات والحروب التي أعقبت الثورة الفرنسية. وقد أتاحت هزيمة نابليون (1769-1821) في الفترة ما بين عامي 1813 و1814 على يد تحالف ضخّم من القوى بقيادة بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا (ألمانيا الحالية) الفرصة للقوى المنتصرة لتحقيق الاستقرار في القارة بهدف كبح جماح قوة فرنسا وإعادة تحقيق التوازن بين القوى العظمى.¹⁵

لـ«الشفافية» في الدبلوماسية هدف القضاء على عدم التكافؤ المعلوماتي من خلال منح جميع أطراف النظام معرفة كاملة بنوايا الآخرين. وبعد الحرب العالمية الأولى، تدخلت الولايات المتحدة باقتراح مؤسسات وقواعد أفضل للنظام العالمي. سواء كانت هذه القواعد «مثالية» أم تعبيرًا صامتًا عن الهيمنة الأمريكية أم جهلاً بالسياق، فقد تكون مزيجًا من الثلاثة. لكن السؤال الحقيقي يظل قائمًا بشأن ما إذا كان هذا النوع من الأنظمة قادرًا على الاستمرار.¹⁴

بعد أقلّ من قرنٍ، ينعقد مؤتمر فيينا عام 1815 لإعادة تشكيل أوروبا ما بعد توسع الإمبراطورية الفرنسية بقيادة

14. Aldo Matteucci, Peace of Westphalia: How Europe's peace shaped global power struggles, Diplo, March 3, 2015 <https://www.diplomacy.edu/blog/whats-all-the-fuss-about-the-westphalia-settlement/>

15. Randall Lesaffer, The Congress of Vienna (1814-1815), Oxford Public International Law, Oxford University Press, 2026

الصراع والسلام:
مادة للبحث
العلمي





الصّراع والسّلام: مادّة للبحث العلمي

انعكس هذان الزّافدان الأوّلان في الرغبة لهندسة معرفة دقيقة بالحروب والصراعات المسلحة، عندما قررت جامعة ويلز (تُعرف الآن بجامعة أبيرستويث) في المملكة المتحدة إنشاء أول كرسي لتدريس السياسة الدولية (المعروف أيضًا بالعلاقات الدولية) عام 1919، بهدف دراسة أسباب الحرب وشروط السلام. وفي ظلّ نظرية المعرفة، أضحي الصراع سؤالاً إبيستمولوجيًا يتوخّى تركيب معرفة متنوّرة بكيفية الحدّ من الحروب وبناء السلام. وقد سُي الكرسي تيمناً بالرئيس ويلسون، الذي أثرت أفكاره حول نظام عالمي جديد في إنشاء هذا الكرسي، والذي أسسه السياسي الليبرالي في مقاطعة ويلز ورجل الأعمال الخيرية ديفيد ديفيز (David Davies). وكان أول من شغل هذا المنصب هو عالم السياسة ألفريد إيكهارد (Alfred Eckhard Zimmermann) لينكبّ على دراسة الشؤون الدولية، وتحديد أسباب الحرب، وتعزيز التعاون الدولي، والابتعاد عن سياسات القوة الأوروبية التقليدية.

ومنذ ذلك الحين، توسّعت الدّراسات في العلاقات الدولية لتشمل قضايا أخرى

تُعزى الرّوافد الأولى لاهتمام المجتمع الدولي الحديث بتداعيات الصراع، في بدايات القرن العشرين، إلى مزيج من ردة فعل حكومات العالم على ضراوة الحرب العالمية الأولى التي كانت صراعا مسلحا واسع النطاق وبأعداد قياسية من الضحايا بعد أن أودت بحياة ما بين 9 إلى 11 مليون جندي، وحوالي 7 إلى 13 مليون مدني، والأمل في مغزى «المبادئ الأربعة عشر» للرئيس الأمريكي آنذاك وودرو ويلسون (Woodrow Wilson) ضمن فلسفة ما يسمى «السلام الليبرالي». ويمثل هذا التصور الليبرالي لتفادي الحرب في العلاقات بين الدول مسارا من حيث النظرية والممارسة معا يعتدّ بأن الديمقراطية والأسواق الحرة وسيادة القانون تعزز سلامًا دائمًا، من خلال تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان وإصلاحات السوق في المجتمعات ما بعد حقبة الصراعات عبر تدخلات دولية. فكانت دراسات السلام والصراع ابنة زمانها، إذ نشأت وتطورت كرد فعل على السياسة العالمية وطريقة دراستها. وقد أدت نهاية الحرب العالمية الأولى إلى خيبة أمل وشعور بالكآبة، لكنها أثارت أيضًا التزامًا متجددًا بالعمل على أن يكون العالم مكانًا أكثر سلامًا.¹⁶

16. Stephen Ryan, Peace and Conflict Studies Today, The Global Review of Ethnopolitics, Vol. 2 no. 2, January 2003, p. 75



الشكل 6: ألفريد إيكهارد زيمرن: أول من تولى كرسي وودرو ويلسون لتدريس الشؤون الدولية في جامعة أوبريستوث عام 1919م

ستوكهولم في العاشر من ديسمبر 1957. فوصف نفسه بأنه «لا يملك سوى شكوك»، ثم وصف «عشرين عامًا من التاريخ المجنون» التي عاشها جيله بقوله: «هؤلاء الرجال الذين وُلدوا مع بداية الحرب العالمية الأولى، وكانوا في العشرين من عمرهم عندما وصل هتلر إلى السلطة وبدأت المحاكمات الثورية الأولى، ثم واجهوا كجزء من تكوينهم الحرب الأهلية الإسبانية. فالحرب العالمية الثانية، ثم عالم معسكرات الاعتقال، وأوروبا التي امتلأت بالتعذيب والسجون، هؤلاء الرجال يجب عليهم اليوم أن يربوا أبناءهم ويبدعوا أعمالهم في عالم يتهدده الدمار النووي. لا أعتقد أن بإمكان أحد

عديدة، وأصبحت دراسات الأمن الدولي أحد فروع العلاقات الدولية التي تتعامل حصريًا مع قضايا الحرب والسلام. فانطلق حقل العلاقات الدولية للاهتمام في عدة قضايا أخرى، وأيضًا دراسات الأمن الدولي بوصفه حقلًا فرعيًا يتعامل حصريًا مع قضايا الحرب والسلام. وتطور هذا الحقل بعد الحرب العالمية الثانية لتحويل تركيز البحث من الحرب والدفاع إلى الأمن، مما وسَّع نطاق العلوم الاجتماعية ذات الصلة بدراسة الظاهرة. وكان تركيزه الأولي على استخدام القوة في العلاقات الدولية، وشمل منذ أواخر الستينيات قضايا الاقتصاد والبيئة والمجتمع إلى جانب التركيز التقليدي على السياسة والأبعاد العسكرية.

غير أن الميلاء الفعلي لحقل «تسوية الصراعات» تبلور في الستينات من القرن العشرين عقب الحرب العالمية الثانية في ذروة الحرب الباردة، حين بدأ أن تطوير الأسلحة النووية والصراع بين القوى العظمى يهددان بقاء البشرية. وأصبح التفاؤل أمرًا يصعب تحقيقه. وقد لَخَّص الأديب (الفرنسي/الجزائري) ألبير كامو (Albert Camus) الأسباب في خطاب قبوله ببلاغة جيدة خلال مأدبة العشاء التي تلت منحه جائزة نوبل للأدب في

17. Camus, Albert, Banquet Speech, Nobel Prize Org. 1957, [https://www.nobelprize.org/prizes/literature/1957/camus/speech/#:~:text=Albert%20Camus%20speech%20at%20the,in%20Stockholm%2C%20December%2010%2C%201957&text=\(Translation\)](https://www.nobelprize.org/prizes/literature/1957/camus/speech/#:~:text=Albert%20Camus%20speech%20at%20the,in%20Stockholm%2C%20December%2010%2C%201957&text=(Translation))



تسوية الصّراعات وبناء السلام

عدد من العلماء والباحثين من تخصصات مختلفة لدراسة الصراع كظاهرة عامة لها خصائص متشابهة سواء في العلاقات الدولية، أو السياسة المحلية، أو العلاقات الصناعية، أو المجتمعات، أو الأسر، أو حتى بين الأفراد. ولاحظوا إمكانية تطبيق المناهج التي كانت تتطور في إطار العلاقات الصناعية ووساطة المجتمع في الصراعات بشكل عام، بما في ذلك الصراعات الأهلية والدولية. ومن بين المؤسسين لهذا الحقل العلمي الجديد كينيث بولدنغ (Kenneth Boulding)، ويوهان غالتونغ (Johan Galtung)، وجون بيرتون (John Burton)، وهيربرت كيلمان (Herbert Kelman)، وروجر فيشر (Roger Fisher)، وويليام يوري

أن يطلب منهم أن يكونوا متفائلين.¹⁷ أبدى كامو في خطابه أيضا حماسة للتغيير وتصحيح المسار، وشدد على أن «كل جيل يشعر دون شك بأنه مدعو لإصلاح العالم. أما جيلي فهو يعلم أنه لن يصلحه، لكن مهمته ربما تكون أعظم. إنها تتمثل في منع العالم من تدمير نفسه. وريثاً لتاريخ فاسد، تختلط فيه ثورات سقطت وتقنيات جُنَّ جنونها وآلهة ماتت وأيديولوجيات بالية، حيث قوى متوسطة تستطيع تدمير كل شيء لكنها لم تعد تعرف كيف تقنع، وحيث الذكاء انحدر ليكون خادماً للكراهية والقمع، كان على هذا الجيل، انطلاقاً من نفي ذاته، أن يعيد تأسيس نفسه من الداخل والخارج.»¹⁸ في ضوء هذه المستجدات، التفّ



الشكل 7: ألبير كامو أثناء تسلم جائزة نوبل للأدب في ستوكهولم يوم 10 ديسمبر 1957

18. Oliver Ramsbotham, Tom Woodhouse, and Hugh Miall, Contemporary Conflict Resolution, Polity, 3rd Edition, 2011. p. 4

19. Ibid.,



- متعدد المستويات: ينبغي أن يشمل التحليل والتسوية جميع مستويات الصراع، بما في ذلك الصراع الداخلي (الصراع الذاتي)، والصراع بين الأفراد، والصراع بين المجموعات (العائلات، الأحياء، الانتماءات)، والصراع الدولي، والإقليمي، والعالمي، فضلا عن التفاعلات المعقدة بينها.
 - متعدد التخصصات: لكي يتم تعلّم كيفية معالجة أنظمة الصراع المعقدة بشكل مناسب، كان على هذا المجال الجديد أن يعتمد على العديد من التخصصات، بما فيها السياسة، والعلاقات الدولية، والدراسات الاستراتيجية، ودراسات التنمية، وعلم النفس الفردي والاجتماعي، وغيرها.
 - متعدد الثقافات: نظرًا لأن الصراع البشري ظاهرة عالمية في نسيج ثقافي محلي/عالمي متشابك ومعقد بشكل متزايد، كان لا بد أن تكون هذه المبادرة مشروعًا تعاونيًا دوليًا حقيقيًا، من حيث المواقع الجغرافية التي تظهر فيها الصراعات والمبادرات المعروضة لتسويتها.
 - تحليليا ومعياريا معًا: كان أساس دراسة الصراع يقوم على التحليل المنهجي وتفسير «إحصاءات الصراعات الدامية» (البوليمولوجيا)، ولكن كان يكون المنطلق:
- (William Ury)، وويليام زارتمان (William Zartman)، وأدم كيرل (Adam Curle)، وإليز بولدنج (Elise Boulding)¹⁹
- كانت الستينات حقبة مفصلية في تحوّل فلسفة تسوية الصراعات برؤية علمية من الوساطة القديمة إلى المجالات الأكاديمية الحديثة، وتبلور هذا الحقل المعرفي بشكل كبير بعد الحرب العالمية الثانية بفضل إنشاء معاهد وأبحاث السلام، مثل «مجلة تسوية الصراعات» التي ظهرت عام 1957، لمعالجة مضاعفات الحربين العالميتين وحروب الوكالة والحروب الأهلية في أفريقيا والشرق الأوسط، بعد اتساع العدسة خارج دائرة التركيز على القوى العظمى (الحرب الباردة) ليشمل العدالة الاجتماعية (نظرية الحاجات البشرية الفطرية ونظرية الهوية وتأثير الثقافة)، وتأسيس جامعة جورج ميسن الأمريكية أول مركز لتحليل وتسوية الصراع عام 1981، وارتفاع وتيرة الصراعات العرقية (ما بعد الحرب الباردة)، واستراتيجيات اللاعنف (غاندي)، وطرق حل الصراعات البديلة في الأنظمة القانونية، مع التركيز على حل المشكلات المشتركة وبناء الثقة لتحقيق سلام مستدام. وقامت فلسفة تسوية الصراعات الدولية والحروب الأهلية على معايير أساسية اقتضت أن يكون المنطلق:



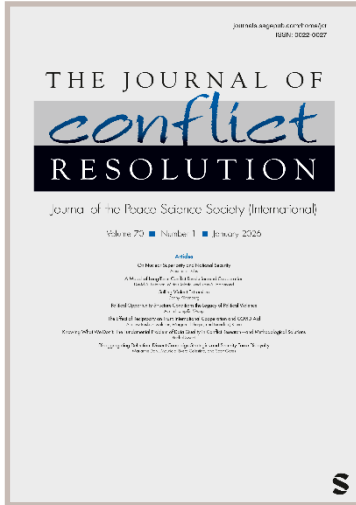
تسوية الصّراعات وبناء السلام

أنه أكثر العلوم الاجتماعية حرصًا على العمل الميداني والانكباب على تغيير الانطباعات والمواقف والعلاقات. ويتباين المنحى الأمريكي الذي يركز على «الصراع» كوحدة تحليل رئيسية، فيما ينشغل المنحى الأوروبي بقضية «السلام» في المقام الأول. وبين عامي 1957 و1964، ظهرت أولى المجالات المحكمة المتخصصة وهي، كما سبقت الإشارة، «مجلة تسوية الصراعات» في الولايات المتحدة و«مجلة أبحاث السلام» في أوروبا. ويدعو هذا التباين إلى تأمل الفروق الثقافية والطموحات الأكاديمية بشأن الصراع (وفق المدرسة الأمريكية) والسلام (وفق المدرسة الأوروبية).

من المقرر دمج ذلك منذ البداية مع الهدف المعياري المتمثل في تعلم كيفية تحويل الصراعات العنيفة الفعلية أو المحتملة إلى عمليات سلمية للتغيير الاجتماعي والسياسي وغيره.

• نظريًا وعمليًا على حد سواء: كان من المفترض أن يتشكل مجال تسوية الصراعات من خلال التفاعل المتبادل المستمر بين النظرية والتطبيق: فقط عندما يلتقي الفهم النظري مع الخبرة العملية.²⁰

يعتدّ هذا الحقل المعرفي الطموح لكبح جماح الصراعات والحروب بأنه يعتمد مقاييس تحليلية ومعيارية وأيضًا تركيبية نظرية وعملية إلى حد



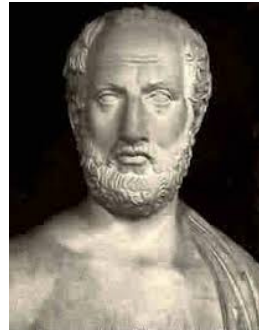
الشكل 8: نماذج من أعداد «مجلة تسوية الصراعات» الأمريكية و«مجلة أبحاث السلام» الأوروبية

20. Oliver Ramsbotham, Tom Woodhouse, and Hugh Miall, Contemporary Conflict Resolution, Polity, 3rd Edition, 2011. p. 7



مقابل تطوّر تسوية الصراعات، تفرّعت الواقعية السياسية إلى واقعيات سياسية متباينة نسبياً، وانقسمت إلى الواقعية الكلاسيكية (المدفوعة بالطبيعة البشرية والسعي للقوة) والواقعية الجديدة (المبنية على البنية ومركزة على الفوضى)، ثم انشطار الواقعية الجديدة بدورها إلى واقعية هجومية (تعظيم القوة) وواقعية دفاعية (الحفاظ على الأمن). وتشمل أنواعاً أخرى الواقعية الكلاسيكية الجديدة (التي تدمج بين بنية النظام والعوامل الداخلية) ومتغيرات فلسفية مثل الواقعية السليمة أو المعقولة (Common-sense Realism) أو الواقعية التنازلية (Concessional Realism). إلا أنها لا تستمد مرجعيتها من أفكار ثلاثة منظرين رئيسيين: أفكار ثيوسيديس من الحقبة الإغريقية، ومكيافيلي من القرون

1. العنف موجود في كل مكان ولا مفرّ منه،
2. العنف أداة ضرورية لحكم ناجح، لكن يجب استخدامه بحكمة.
3. يُعتبر العنف في السياسة المصدر النهائي للسلطة، حتى لو وُجدت قوانين ودعم شعبي، فإن السيطرة على القوة



الشكل 9: رواد الواقعية السياسية، ثيوسيديس بن أولوروس، ونيكولو مكيافيلي، وهانز مورغانثو

21. Peter Wallensteen, The Origins of Peace Research in Wallensteen, P. (ed), Peace Research: Achievement and Challenges, Westview Press, 1988, pp. 7-29



تسوية الصّراعات وبناء السلام

الرئيس دونالد ترمب أيضا بخطوة أكثر اندفاعا بغزو فنزويلا، وعزمه الاستيلاء على غرينلاند وانتزاعها من سيادة الدنمارك، فيما لاتزال وساطة ترمب غير مثمرة في الصراع المفتوح بعد غزو القوات الروسية في أوكرانيا. وقد تزداد شهية روسيا في غزو أراضي أخرى في شرق أوروبا، وأيضا تعجيل الصين بضم جزيرة تايوان بالقوة إلى سيادتها. وتبعا لنسق القوة المتنامي، تظل الحاجة ملحة لإيجاد وسائل أكثر فعالية لإدارة الصراعات وتسويتها، كما أنّ النصوص المتاحة في هذا المجال «قديمة أو محدودة بسبب اعتمادها على دعم نظرية مفضّلة واحدة أو منهج محدّد لتسوية الصراعات»²³

العسكرية ستكون العامل الحاسم،
4. تُحل الصراعات عبر القوة والعنف،
5. الدولة والحكومة هما الفاعلان الرئيسيان ذوا الأهمية،
6. والدولة مستقلة بذاتها تجاه الدول الأخرى.

لا يزال تأجج الصّراعات العنيفة التي تُغذي وتُديم ذاتها، باتباع سياسة القوة وفرض الأمر الواقع من قبل طرف على الأطراف الأخرى، ما زال متواترا في الحقب المعاصرة، كما يتجلّى بوضوح مؤلم في الجهود غير المجدية والتي تحقق نتائج عكسية التي بذلتها الولايات المتحدة تحت قيادة الرئيس جورج بوش الابن لتحقيق الهيمنة العالمية بغزو أفغانستان والعراق.²² هي هيمنة يكرسها

22. Dennis J. D. Sandole, Sean Byrne, Ingrid Sandole- Staroste and Jessica Senehi (eds), Handbook of Conflict Analysis and Resolution, Routledge, 2009, p. xxi

23. Ibid., p. xxi

علم تركيبي
متعدّد
التخصصات





علم تركيبي متعدّد التخصصات

التفكير حول الصراع وتحوّله»²⁵ في الوقت ذاته، يتبنّى مؤسّس دراسات السلام يوهان غالتون رؤية نقدية عند تشريح مدى تأثير البنيوية داخل تكوّن هذا الحقل المعرفي وخارجه. فهو يوضح أن «كل علم هو ثقافة، له معايير لتصفية الزائف من الحقيقي والباطل من الصحيح، وأحياناً أيضاً الخطأ غير الأخلاقي من الصواب الأخلاقي، وغير الجمالي من الجمالي، والمُدنّس من المقدّس. ويكون النصّ المُصقّى هو المعرفة محاطاً بنصوص فرعية ونصوص عليا ونصوص عميقة وسياقات مختلفة. وكل علم يجد ذاته ضمنياً في بنية معينة عادة ما تكون رأسيةً أو هرميةً بوجود منتجين ومستهلكين لتلك المعرفة. ويمكن تقسيم منتجي المعرفة إلى أساتذة وتلاميذ ومبتدئين تتخلّلها طبقاتٌ أفقيةٌ من الأقران»²⁶.

يفسّر غالتون مدى التقارب والتعاون بين عدة حقوق معرفية في مجال دراسات الصراع والسلام، ومنها علم النفس الذي يركّز على الأفراد عادةً على مستوى التحليل الجزئي (Micro analysis)، ويؤشر على مدى تحقيق السلام من خلال الاستجابة للاحتياجات

شهدت العقود الستة الماضية تطور تسوية الصراعات من خلال مساهمات أجيال متعاقبة على مستوى الاجتهادات النظرية والتعدّلات المنهجية والخلاصات الميدانية. ويمكن اختزال أوجه هذا التطور في أن المنظرين والممارسين «مدّدوا نماذج تسوية الصراعات الحديثة إلى أقصى حدود مرونتها. وتستند هذه النماذج إلى رؤية للعالم بدأت في القرن السابع عشر مع كتابات مفكرين مثل جون ديكرت، وغوتفريد لاينتز، وإيمانويل كانط، وإسحاق نيوتن، وما زالت تهيمن على الفكر الغربي حتى هذا القرن الجديد. إنها رؤية تسير على خط واحد، واختزالية، وموضوعية، وحتمية، وتنبؤية، وعقلانية»²⁴ ويلاحظ بول روجر (Paul Rogers) وأوليفر رامسبوتام (Oliver Ramsbotham) في دراستهما حول تطور أبحاث السلام بين الماضي والحاضر أن فلاسفة ما بعد الحداثة، في النصف الثاني من القرن العشرين، اعتمدوا التشكيك في بعض هذه المبادئ. والآن، انضمّ رواد علم الأعصاب والفيزياء والرياضيات وعلم النفس المعرفي والاجتماعي إلى أصحاب فكر ما بعد الحداثة لتحدي التفكير الحدائي. كما بدأ عملهم يؤثّر أيضاً في

24. Paul Rogers and Oliver Ramsbotham, Then and Now: Peace Research-Past and Future, Political Studies, 1999, XLVII, p. 740

25. Ibid., p. 740

26. Johan Galtung, Peace Studies and Conflict Resolution: The Need for Transdisciplinarity, Transcultural Psychiatry, 2010, 47: p. 21



خطأ يرتكبه الكثيرون في الممارسة.²⁷ من هذا المنطلق، يستحضر غالتون الثقافة في التمييز بين صراع مرئي وآخر غير مرئي. في المقابل، تحلل العلاقات الدولية النظام الدولي بطرق مماثلة لما يقوم به علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم السياسة والاقتصاد في تحليل أنظمة المجموعات، إذ تُحدد بنيات التفاعل والمعاملات الاقتصادية وممارسات السلطة وبناء المؤسسات، مع تركيز أقل على الجوانب الثقافية. ومن البديهي أن دراسات الصراع والسلام تحتاج إلى كل هذه التخصصات، تماماً كما تحتاج دراسات الصحة (المعروفة أيضاً بدراسات الطب، وهو مصطلح خاطئ آخر) إلى الفيزياء والكيمياء والتشريح وعلم وظائف الأعضاء والمرض وغيرها. ومع ذلك، فإن دراسات الصحة ليست مجرد مجموع متعدد التخصصات، بل هي مضطرة بفعل العلاج إلى التعامل مع الإنسان ككل، كما يجادل غالتون.²⁹

يدور الجدل أيضاً حول ثنائية السلام والعدالة ضمن اتساع نطاق التغييرات العلائقية والبنوية المطلوبة خارج قاعة المفاوضات وما بعد صياغة نص الاتفاق. وأصبح حقل تسوية الصراعات

الأساسية لبقائهم وعافيتهم. في المقابل، يتولى علم الاجتماع تحليل التفاعل بين الأفراد والبنية القائمة، فهو بحكم التعريف أكثر علائقية وبالتالي بنوية، ومن ثمّ فهو أكثر ملاءمة لفهم كيف تنتج العلاقات والبنيات العنيفة مزيداً من العلاقات العنيفة، وكيف قد تبدو بنية السلام بين الأفراد والجماعات بما يتماشى مع التحليل الكلي (Micro analysis). وتدخل الأنثروبولوجيا، التي تركز على المعنى والثقافة وتتعامل مع نطاق واسع من المجتمعات المتباينة جداً، أيضاً على الخط بحكم أنها أكثر ملاءمة لفهم كيفية إعادة الثقافات العنيفة إنتاج نفسها، وكيف ستبدو ثقافة السلام للأفراد والجماعات.

يدحض غالتون الاعتقاد السائد في علم الاجتماع التقليدي بأن العنف يكمن «في الطبيعة البشرية». ويشدّد على ضرورة بناء السلام في الثقافة وفي البنية، وليس في «العقل البشري». ويدعو أيضاً للنظر إلى العنف ضمن سياق معين، فيكون هذا السياق هو «الصراع»، فيما يعتبر السياق الزمني هو «تاريخه بما فيه تاريخ المستقبل»، في إشارة إلى ضرورة مراعاة «مسار الصراع» أيضاً مما يشكل في نظره

المستوى 1:	صراع مرئي	عنف مباشر
المستوى 2:	صراع غير مرئي	عنف ثقافي

الشكل 10: أصناف العنف تبعاً للفرق بين الصراعات المرئية وغير المرئية (اقتباس من كتابات غالتون)²⁸

27. Johan Galtung, "After Violence: 3 R - Reconstruction, Reconciliation, Resolution, TRANSCEND

28. Ibid.,



تسوية الصّراعات وبناء السلام

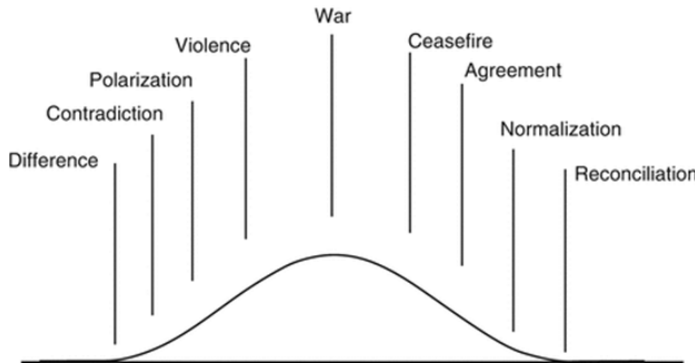
وبين المفاوضات والمصالحة، ثمة مجموعة من التحديات المعقدة التي ينبغي معالجتها في التعامل مع الصراعات العرقية والحروب الأهلية ضمن منظور إيلز بولدنغ التي تمسكت بأن اتفاق الحاضر يحدد المستقبل على مدى «مئتي عام» بشكل استباقي.

يوضح الشكل 12 تسع مراحل نمطية لتطور الصراع من بدء الخلاف إلى المواجهة العنيفة (نتيجة التصعيد) إلى المصالحة (بعد المفاوضات). وتشمل المراحل الخمس الأولى حلقات سلبية بين الأطراف بداية من نواة الخلاف ثم التناقض والاستقطاب والعنف، ثم الحرب باعتبارها أعلى درجات التصعيد. في المقابل، تتدرج حلقات البحث عن التسوية من مساعي وقف إطلاق النار، ثم إبرام الاتفاق على وقف الاقتتال، ثم ترميم الانطباعات والمواقف وتطبيع العلاقات، قبل عقد المصلحة وهي آخر الخطوات في مسار صنع السلام.



الشكل 11: يوهان غالتون مرشح لجائزة نوبل للسلام عام 2016

يميل الآن إلى السير في المسار الطويل من مراقبة آليات التسويات المتفاوض عليها إلى الطرف الآخر من الطيف لمعالجة العدالة الإصلاحية والتعافي من الصدمات النفسية وتحقيق المصالحة. وقد حدد جون بول ليدراك (John-Paul Lederach) مثلًا الطاقات الاجتماعية ضمن رباعية «الحقيقة والرحمة والعدالة والسلام»، بغية الانتقال من القضايا الشكلية أو البروتوكولية إلى قضايا الجوهر والتأثير الميداني. مجازياً، يتعين على الميدان أن يملأ الحُفر والأنفاق التي اكتشفها في الطريق نحو سلام مستدام.



الشكل 12: مراحل تطور الصراع من نواة الخلاف وتدرج التصعيد، وخطوات صنع السلام

29. Johan Galtung, Peace Studies and Conflict Resolution: The Need for Transdisciplinarity, Transcultural Psychiatry, 2010, 47: p. 21



سبعة أنساق في تسوية الصراعات

حسب اجتهادات الأجيال الخمسة تبعا لهذا المسار الزمني:

1. جيل الرواد (حتى عام 1945): ظهور الأفكار المبكرة حول أبحاث السلام وتأسيس العلاقات الدولية كتخصص أكاديمي، وذلك أساسًا كرد فعل على الحربين العالميتين.

2. جيل المؤسسين (1945-1965): شهدت الفترة التالية للحرب العالمية الثانية إنشاء مراكز أكاديمية ومجلات متخصصة رسمية مكرسة لحل الصراعات، مع التركيز على تطوير عمليات مقبولة لجميع الأطراف.

3. جيل المطوّرين (1965-1985): مرحلة توسع وبناء إضافي لمفاهيم وممارسات هذا المجال.

4. جيل المجدّدين (1985 - 2005): ركز هذا الجيل على تحويل الصراعات في المجتمعات المنقسمة بعمق، مع توسيع النطاق ليشمل المجتمع المدني إلى جانب التفاعلات على مستوى الدول.

5. جيل تسوية الصراعات برؤية كونية (Cosmopolitan Conflict Resolution or universalizers): الجيل المعاصر يتعامل مع تسوية الصراعات في سياق التغير العالمي

يمكن اختزال تطور تسوية الصراعات في مساهمات خمسة أجيال من الباحثين والممارسين حتى الآن. وتختزل عالمة الاجتماع الأمريكية ماري باركر فولّي (Mary Parker Follett) (1933-1868) الهواجس الفلسفية والمعيارية التي يتمسك بها أهل هذا الحقل المعرفي الطموح بقولها: «لطالما اعتبرنا السلام حياة سلبية والحرب نهجًا نشطًا للعيش. لكن الحقيقة عكس ذلك تمامًا. فالحرب ليست الحياة الأكثر إرهابًا، بل هي بمثابة راحة مقارنة بمهمة التوفيق بين خلافاتنا... والانتقال من الحرب إلى السلام ليس انتقالًا من الحياة المجهدة إلى الحياة السهلة، بل هو انتقال من العبث إلى الفعالية، من الركود إلى النشاط، من التدمير إلى الإبداع في نمط الحياة... سيتجدد العالم بأولئك الذين يرتقون فوق هذه السبل السلبية ويبحثون ببسالة، مهما كلفهم من مشقة وعناء، عن السبل التي يتفق عليها البشر.» وقد أصدر ثلاثة من العلماء والمؤرخين البريطانيين في هذا المجال وهم هيو ميال (Hugh Miall)، وأوليفر رامسيوثام (Oliver Ramsbotham)، وتوم وودهاوس (Tom Woodhouse) خمس نسخ محدّثة من كتابهم المهمّ «تسوية الصراعات المعاصرة» بين 2005 و2025، ويصنفون تطور هذا الحقل



تسوية الصّراعات وبناء السلام

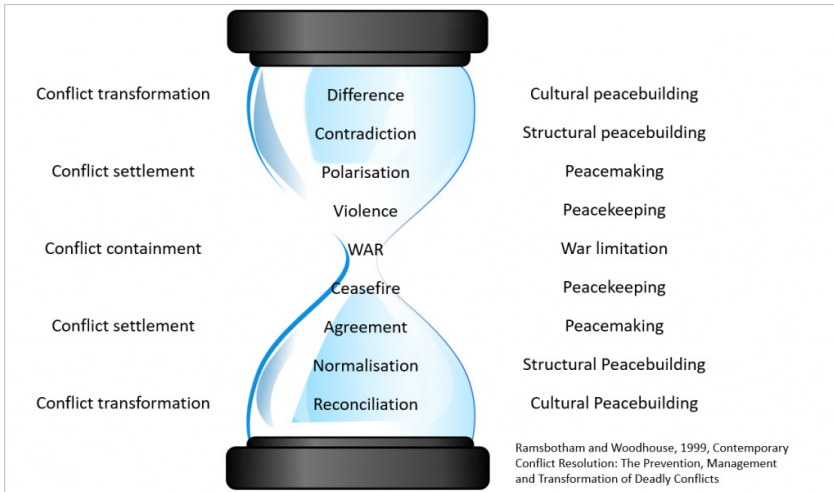
1. ضرورة التعامل مع الأسباب الجذرية للصراع، وهذا فرق أساسي بين تسوية الصراعات وتسوية النزاعات.
 2. إدراك مدى الحاجة لجهود متعددة التخصصات.
 3. الوعي بأن من الممكن للصراع بحد ذاته أن يؤدي إلى تغيير اجتماعي إيجابي، وأن تسويته ليست دفاعًا أعمى عن استمرار الوضع الراهن، وأن العنف ليس بالضرورة رقيقًا حتميًا للصراع أو التغيير.
 4. يتعين إجراء تحليل يتجاوز التركيز الحصري على المستوى (الفردى، الجماعى، الوطنى، والدولى).
 5. اعتماد «نهج عالمى متعدد الثقافات»، يكون حساسًا للسياق الثقافى لكنه متنغم مع مصادر الصراع العالمية.
 6. الالتزام بهذا المجال كمشروع تحليلى ومعياري فى آن واحد.
 7. احترام العلاقة بين «النظرية» و«الممارسة» فى البحث رغم المكانة الهامشية التى تُمنح للممارسة فى الأوساط الأكاديمية.³⁰
- تبعاً لهذه المبادئ السبعة، يستدعى تحليل الصراع وتفكيك عناصره الجمع
- السريع ومن خلال التعامل مع التوترات الدولية المعقدة برؤية كونية.
- سعت هذه الأجيال الخمسة لبلورة تصورات ومنطلقات مختلفة إزاء دراسة الصراع أكاديمياً والحد منه ميدانياً. واليوم، يمكن الاعتداد بسبعة أنساق من حيث النظرية والتطبيق والتقييم:
- (1) تنظيم الصراع (Regulation).
 - (2) إدارة الصراع (Management).
 - (3) تسوية الصراع (Resolution).
 - (4) تحويل الصراع (Transformation).
 - (5) علم الصراع (Conflictology).
 - (6) بناء السلام (Peacebuilding).
 - (7) دراسات السلام والصراع (Peace and Conflict Studies).
- ويوضح الشكل 13 كيف ينطوي التعامل مع تعقيدات الصراع والسعي من أجل السلام على مراعاة خطوط التوازي بين مسار احتواء الصراع حسب درجة التصعيد مع مراعاة ما يقابلها على الطرف الأخرى مسعى صنع السلام أولاً، وبناء السلام ثانياً. وعلى الرغم من تباين هذه الأنساق الستة، إلا أنه تتمسك بسبعة مبادئ مشتركة من أجل إنهاء الصراع وإحلال السلام:

30. Paul Rogers and Oliver Ramsbotham, Then and Now: Peace Research-Past and Future, Political Studies, 1999, XLVII, p. 740



الإنسانية والاجتماعية في دراسة الصراع ترفا أكاديميا بقدر ما يظل ضرورة حتمية بسبب جدلية التأثير والتأثر بين البنية القائمة وذاتية الفرد (Structure and Agency) في صيرورة التغيير الاجتماعي. ويزداد الاهتمام بهذه الجدلية المفتوحة على احتمالات التعايش تارة أو الصراع تارة أخرى في ضوء مؤلفات عالم الاجتماع البريطاني أنثوني جيدنز (Anthony Giddens) الذي بلور نظرية اجتماعية جديدة تتشعب بالمدرسة البرغماتية الأمريكية خاصة نظريات الفيلسوف الأمريكي جورج هيربر ميد (George Herber Mead). وكما يقول جيدنز، «يقترن مفهوما الفعل

بين الروافد البنيوية والمجتمعية والفردية معا بالنظر إلى تشعب أسباب الصراع بين العوامل البنيوية ضمن التركيبة السياسية والاقتصادية والثقافية (أو ما يمكن تسميته النظريات البنيوية (Structural theories) والميول الفردية التي تركز ذاتية الفرد وبيئته العائلية والمجتمعية (أو نظريات الفرد (Theories of the person). ويستحضر ذلك بعض مسلمات علم الاجتماع الكلاسيكي «دون أن ينفي أهمية الانعكاسية الذاتية للموضوع البشري فيما يقوم بتنظير التغيرات في المجال الاجتماعي».³¹ لا يشكل التداخل بين تلك العلوم



الشكل 13: خطوط التوازي بين مسار احتواء الصراع حسب درجة التصعيد مع مراعاة ما يقابلها على الطرف الأخرى في مسعى صنع السلام

31. Walby, Sylvia. "Complexity Theory, Globalisation And Diversity", Department of Sociology, Lancaster University, April 2003. <http://www.lancs.ac.uk/fass/sociology/papers/walby-complexityglobalisationanddiversity.pdf>



تسوية الصّراعات وبناء السلام

تدريس مقررات نظريات الصراع وتسوية الصراع. يقول أستاذي وزميلي في جامعة جورج ميسن ريتشارد روبنستين (Richard Rubenstein) إنه يمكن تقسيم تلك النظريات إلى ثلاث مجموعات أساسية:

1. نظريات الطبيعة البشرية: تعتبر الفرد وحدة التحليل الرئيسية على أساس تمحيص ما «يوجد داخل الفرد» وما يتعلق بوعيه وسلوكه تحت مظلة نظريات التحليل النفسي ونظرية الاحتياجات البشرية الأساسية وغيرهما.
2. نظريات البنية: تتخذ من المؤسسة الاجتماعية وما تشمله من علاقات بشرية أبوية وتراتبية ومتعددة الطبقات وحدة التحليل الرئيسية. أو بعبارة أخرى، فحص الوعاء أو «الصندوق الذي يوجد فيه الفرد». ومن أهم النظريات الواقعية السياسية والوظيفية ومعضلة القوة.
3. نظريات الثقافة: تنطوي على منظومة إبستمولوجية لتركيب المعاني كوحدة تحليل رئيسية من خلال التركيز على السؤال «ما هي خصوصيات الفرد». وتهتم أساسا

(الفردية) والبنية مع وجود بعضهما مع بعض. لكن الإقرار بهذا الاعتماد الثنائي المتبادل، وهو علاقة جدلية، يستلزم إعادة صياغة سلسلة من المفاهيم المرتبطة بكل من هذه المصطلحات وبالمصطلحات ذاتها.³² وعلى هذا المنوال، يشمل مصطلح «البنية الاجتماعية» عنصرين لا يمكن التمييز بينهما بوضوح: «نمط التفاعل كما يدلّ على العلاقات بين الأفراد أو المجموعات، واستمرارية التفاعل في الوقت المناسب.»³³

ساهمت البنائية الاجتماعية في فتح باب الاجتهاد في العلوم الاجتماعية في النصف الثاني من القرن العشرين. فشهدت السبعينات تركيزا غير مسبوق على دراسة الهويات بعد انتشار مؤلفات هنري تاجفيل (Henri Tajfel) وغيره. ثم حلت الثمانينات بتحوّل التركيز على دراسات الثقافات، فأصبح أغلب الكتاب والصحفيين وقتها يتحدثون عن «حروب ثقافية» داخلية وخارجية في الولايات المتحدة خلال رئاسة رونالد ريغان (1981-1989). غير أنّ البحث الاجتماعي بدأ في التسعينات يهتم أكثر فأكثر بدراسة السرديات وتفكيك الخطاب السياسي ودلالاتها في استكشاف الثقافات والهويات لدى الأفراد والمجتمعات. وانعكس هذا التراكم المعرفي على

32. Anthony Giddens, "Central Problems in Social Theory: Action, Structure, and Contradiction in Social Analysis", University of California Press, 1979, p. 53

33. Ibid., p 53



وعدم الانصياع لإرادة المجموعة الخارجية (الدولة، الحكومة، مراكز القوة، الشرطة...) وحدة التحليل الرئيسية. وتشمل هذه الفئة نظريات الحركات الاجتماعية، ونظريات الثورة، وعصبية التضامن، ونظرية حقوق الإنسان، وما بعد الحداثة وغيرها.

بالعدسة المشتركة التفسيرية بين أفراد المجتمع والتي تساعد على فهم الظاهرة الاجتماعية، وتشمل مفاهيم وآليات تركيب المعاني وصناعة الأنا والآخر، ونظرية الهوية الاجتماعية، ونظرية التموقع والمنطلقات السردية.

في السياق ذاته، كان عدد من أساتذة العلوم السلوكية والاجتماعية في جامعة جورج ميسن في فرجينيا قد اجتمعوا عام 1979 لتخيّل ومناقشة الصيغة المنشودة لشهادة أكاديمية عليا في تخصص «تسوية الصراعات». وكان من ثمرة هذا التآلف تأسيس مركز ثم معهد عال لتدريس ثنائية «تحليل وتسوية الصراع» (Conflict Analysis and Resolution). وفي عام 1981، استقبلت الجامعة أول فوج طلاب في برنامج الماجستير في علم اجتماعي قائم بذاته ومستقلّ بطموحه في التغيير قبل أن منحت أول دكتوراه في هذا التخصص عام 1988. واستمر تطوّر هذا العلم إلى أن قرّرت جامعة جورج ميسن عام 2010 تأسيس أول كلية في العالم متخصصة تحت إسم «كلية كارتر لدراسات الصراع وبناء السلام». وعلى غرار هذا الإنجاز في إدخال الصراع إلى المختبر الأكاديمي، أصبح البحث الشمولي (من زاويتي البنية والفرد معا) ينمو في بعديه النظري في الجامعات والعملية في مناطق الصراع بمنأى عن وصاية علم

لا خلاف على أنّ تصنيف هذه المجموعات الثلاث من نظريات الصراع وتسوية الصراع يقدم تصوّرا منهجيا صائبا، ويجسّد مدى الانفتاح الذي يتّسم به الحقل كعلم متعدد الأضلاع أو عابر للتخصصات بين العلوم الاجتماعية. لكنّه تصنيف يظل في نظري ناقصا ولا يعكس الأنساق الجديدة في تفسير آليات التغيير الاجتماعي. فهو لا يشمل النظريات المعاصرة التي ظهرت في السنوات الماضية في ذروة الانتفاضات والثورات والتمسك بإرادة القاعدة في توجيه السياسات العامة سواء من قبل شباب الانتفاضات في العالم العربي عام 2011، أو حركة 99% في الولايات المتحدة عام 2012، أو حركة السترات الصفراء في فرنسا عام 2018، أي جيل زي Z عام 2025. لذلك، أضفت مجموعة رابعة أسميها نظريات الفعل الجماعي (Theories of Collective Action)، وتتخذ من ديناميات المجال العام، وتموقع حركات الاحتجاج، والتضامن مع الآخرين داخل المجموعة الاجتماعية،



تسوية الصّراعات وبناء السلام

مניתوبا الكندية في «دراسات السلام والصراع»، وجامعتي برادفورد البريطانية ونيو إنجلند الأسترالية في «دراسات السلام»، وجامعة بير إيلان في إسرائيل ضمن برنامج «إدارة وتسوية الصراعات والمفاوضات» باللغة العبرية. وتزداد القناعة بهذه الرّؤية المتكاملة بين جُلّ المؤسسات التي تعنى بدراسات الصراع والسلام ومن أحدثها مركز دراسات النزاع والعمل الإنساني في معهد الدوحة للدراسات العليا والذي يتوخى «تحقيق الاستجابة الفعالة المثلى للنزاعات والحاجات الإنسانية المرتبطة بها من خلال مأسسة المعرفة المتجذرة إقليمياً وثقافياً في هذا المجال»، ويشدّد في الوقت ذاته على «ضرورة فهم السياقين التاريخي والثقافي للتحديات التي تواجهها المنطقة (العربية) من أجل بلورة منهجيات وسياسات نقدية وإبداعية».³⁴

السياسة أو العلاقات الدولية التي غلبت عليه خلال الثلثين الأوّلين من القرن العشرين. وهو حالياً ينفصل تدريجياً عن وصاية العلاقات الدولية وعلم السياسة اللذين يعتدّان بأتهما «أصحاب الاختصاص» التاريخي في الصراعات التي كانت في حقبة بين الدول، وليس داخل الدول، هي السمة الغالبة على شؤون المرحلة خلال القرن العشرين.

ازداد عدد الجامعات والمؤسسات الأكاديمية الغربية التي تمنح شهادات عليا في هذا التخصص الجديد في العقود الثلاثة الماضية. فقرّرت جامعة جورج تاون في واشنطن مثلاً تأسيس برنامج ماجستير في دراسة الصراع عام 2005. وأصبحت جامعات أخرى تمنح شهادات الدكتوراه مثل جامعة كينيسو في ولاية جورجيا الأمريكية في «تسوية الصراعات الدولية»، وجامعة

34. مركز دراسات النزاع والعمل الإنساني، صفحة الموقع

أصوات نقدية





أصوات نقدية

(non-Western approaches) في تدريس تسوية الصّراع. ومنذ البدء، تنطوي تلك التسمية على معضلة التبسيط التهميش أيضا. فما كان مصدره أمريكا أو أوروبا اعتبروه «قاعدة» أو «محوراً» في الأدبيات. أمّا ما ظهر في ثقافات وشعوب أخرى، فوضعوه في خانة «غير غربي»! ويبدو هذا الموقف غيباً معرفياً غير مبرّر حتى وإن أبدو من قبيل اللياقة الأكاديمية تواضع الأغلبية باعترافها بما تعتبره «مساهمة الأقلية».

في دراسة مثيرة بعنوان «إنهاء الاستعمار من تسوية الصّراعات: مواجهة العنف الأنطولوجي لتيار التغريب»، تقول بولي ووكر (Polly Walker) إنّ هذا التخصص يكرّس «عنفًا أنطولوجيًا ويقمع أصوات السكان الأصليين عن التعبير عن تصوراتهم للعالم واستعراض تجاربهم. وفي معظم ورشات التدريب والبحث والممارسة، يتم الترويج للأساليب والطرق الغربية في فض النزاعات على أنها ملائمة لجميع الثقافات بما فيها الأصلية»³⁵. وتنحو ووكر بهذا الموقف منحنى قلة من المنظرين والممارسين الغربيين

ثمّة مجازفة عندما يلوّح بعض مهندسي استراتيجيات وقف إطلاق النّار أو وسطاء المفاوضات داخل الأمم المتحدة أو خارجها أحيانا بأنّ رؤيتهم «واعدة» في تغيير ديناميات الصّراع أو صنع السلام أو بنائه في شتى بؤر الصّراع، أو أنّها تستند إلى علم «كوني» (universal) أو «كوسموبوليتاني» (cosmopolitan) أو «عالمي» (global) من المفترض أن ينفع في دول الشرق والجنوب كما يجزم جدواه في دول الغرب. ومن الجلي أنّ هذه قناعة تنم عن سوء تقدير معرفي أو ربما ادّعاء كولونيالي يكرّس «مركزية» المدرسة الأمريكية في هذا العلم الحديث، وتزيد في السؤال الملحّ حول مدى «عالمية» هذا الحقل المعرفي.

يقول بعض المنتقدين «هناك الكثير من نظريات تسوية الصّراعات وإحلال السلام من المنظور الغربي. لكن المشكل الرئيسي يظهر عندما يتعلق الأمر بالممارسة، إذ لا يوجد تحديد واضح للنظريات المناسبة لحالات محددة»³⁵. وفي أحسن الأحوال، يقرّر بعض الأساتذة الأمريكيين مرور الكرام، كما جاء في المقدمة، على ما يصنفونه «المنطلقات غير الغربية»

35. Yasmine Zein Al-Abedine, "Western Theories on Conflict Resolution and Peace Building: A Critique", Proceedings of 132nd, The IIER International Conference, Rome, Italy, 20th -21st October 2017

36. Polly o. Walker, "Decolonizing Conflict Resolution: Addressing the Ontological Violence of Westernization", American Indian Quarterly, summer & fall 2004, vol. 28, nos. 3 & 4



وفهم رؤاهم وقناعاتهم من الداخل، وليس من رؤية القادم من بعيد. لذلك، يصبح حوار وتفاعل الثقافات ضرورة قصوى في هذا المجال.

ثمة نقاش مفتوح حول القصور في تركيب علم اجتماعي عالمي ومتعدد الثقافات لتسوية الصراعات. وتتوالى الانتقادات في مسألتين أساسيتين:

(1) مدى تجاهل الحثيات الثقافية لمختلف الشعوب والحضارات. ويبدو أنه يتجاوز الفروق الدقيقة في وجهات النظر العالمية بين الغرب والثقافات الأخرى. ويشير بعض الباحثين مثل كيفن أفروك (Kevin Avruch) وبيرت بلاك (Peter Black) إلى أن النماذج الغربية السائدة لتسوية الصراعات لا تعترف باختلافات الثقافة ولا تتكيف معها، مدعية أن تقنياتها «تتخطى الحدود الثقافية».³⁸ ويوجهان نقدهما إلى هيمنة المناهج الغربية في تسوية الصراعات بالقول إن «من المدهش كيف أن «المنطلق العالمي» لتسوية الصراعات غالباً ما يتبين هو الذي يعبر بدقة عن قيم المنظر نفسه، غير أن غالبية المنظرين ينتمون في الأغلب إلى البنيات الفكرية الغربية».³⁹

أبرزهم يوهان غالتون وجون بول ليدراك اللذان يقولان إن استخدام «قوة الثقافة المهيمنة يجعل المناهج الغربية تدعي السيطرة في مجالات فض الصراعات والوساطات». ويوضح غالتون كيف أن «الغرب يتمتع بالقوة ولديه ميول نحو إقحام مفاهيمه وتطبيقها عند تأسيس فض الصراع».³⁷

بغض النظر عن مدى الاتفاق أو الاختلاف مع تهمتي «الاستعمار» أو «الهيمنة»، تتمسك عدة أصوات من أنصار المدرسة النقدية الليبرالية بالقول بوجود «استعمار أنجلو-أمريكي» لهذا الحقل، ويجعل بالتالي حلم غالتون بتأسيس علم كوسموبوليتاني (Cosmopolitan conflict resolution) بعيد المنال. قد يكون من السهل السفر إلى مجتمعات أخرى كوسيط أو خبير في تسوية الصراعات، أو ناشط باسم المجتمع المدني، أو مبعوث إحدى المنظمات غير الحكومية بنظرة أحادية من الغرب إلى الشرق أو الجنوب. لكن ليس من الهين أن يعبر المرء بين الثقافات المختلفة ذهاباً وإياباً، أو يجد المرونة الذهنية والسلوكية الكافية في التفاعل إيجابياً مع السكان المحليين

37. Polly o. Walker, "Decolonizing Conflict Resolution: Addressing the Ontological Violence of Westernization", American Indian Quarterly, summer & fall 2004, vol. 28, nos. 3 & 4

38. Avruch, Kevin, and Peter Black, Ideas of Human Nature in Contemporary Conflict Resolution Theory, Negotiation Journal 6.3 (1990): 226-27.

39. Avruch, Kevin, and Peter Black, The Culture Question and Conflict Resolution, Peace and Change, 16.1 (1991): p. 39



تسوية الصّراعات وبناء السلام

الصراع. في الوقت ذاته، أدعو الطلبة للتأمل في مقارنة أدوات واستراتيجيات التدخل في الصراعات ومدى الفارق بين 44 من الاستراتيجيات الغربية مقابل 250 من الاستراتيجيات «غير الغربية» أي الأفريقية والعربية والهندية وغيرها. ومن أقوى الأمثلة نجاح روندا خلال عشرين عاما في الاعتماد على محاكم جاساسا في تدبير ملفات العدالة الانتقالية عقب حرب الإبادة لقرابة مليون شخص بين الهوتو والتوتسي عام 1994. وهي عملية ساهمت في تحقيق المصالحة الوطنية وتجاوز حقبة الإبادة العرقية في البلاد كانت ستستغرق ربما مائتي عام لو تم تطبيق الاستراتيجيات الغربية.

حسب التقدير الغربي السائد، لا تبدو العديد من المجتمعات وثقافتها وبرامغياتها في التعامل مع الصراع والسلام مؤهلة لأن تكون جزءاً من أدبيات وثقافة التسوية العالمية المعاصرة للصراعات. في الوقت ذاته، يميل معظم العلماء والممارسين الغربيين إلى تصوير الصراعات في المنطقة العربية وما بعدها على أنها مجرد صراعات «عرقية» Ethnic». وتصبح فكرة العرق هي التصنيف الذي يغطي التعقيد الذي لا يكترون بتحليله بعمق. وبالتالي، يعتبرون الصراع العربي الإسرائيلي «عرقياً»، وتداعيات الصراعات الممتدة في السودان «عرقية»، وعدم الاستقرار في لبنان كدولة هشّة «عرقياً» أيضاً دون تمحيص.

توصّلت ووكر إلى أن النماذج الغربية القائمة على حل المشكلات ليست عالمية ثقافياً كما يدعي بعض الكتّاب، بل إنها تعكس أسساً ثقافية غير معترف بها في الرؤية الغربية للعالم. وتؤكد كذلك أن ادعاءات الرؤية الثقافية الكونية في النماذج الغربية تمثل شكلاً من أشكال العنف الوجودي بتمهيش طرق الشعوب الأصلية في تحويل الصراعات. ويبدو أن وعدّ الكونيّة (Cosmopolitanism) في تحويل الصراعات أشبه برحلة ذهاب بلا عودة من أوروبا وأمريكا الشمالية إلى بقية العالم. ولا يوجد تمثيل متبادل بين المنطلقات الغربية وما يُسمى «المنطلقات غير الغربية»، حيث تُحشد المفاهيم والممارسات الصينية والهندية والفارسية والتركية والعربية والأفريقية وأمريكا اللاتينية معاً باعتبارها جزءاً من «الأخر».

خلال تدريسي «نظريات الصراع وتسوية الصراعات» في جامعة جورج ميسن، تجدني حريصاً على تخصيص أسبوعين على الأقل كلّ موسم لدراسة خمسة منطلقات تم اعتمادها منذ قرون طويلة في المنطقة العربية وآسيا وأفريقيا وهاواي، وهي المنطلق الإسلامي العربي، والمنطلق البوذي، ومنطلق هوبونوبونو Ho'oponopono في جزر هاواي، ومنطلق أوبونتو Ubuntu للعدالة الانتقالية في جنوب أفريقيا، ومنطلق جاساسا (Gacaca) أو «العدالة عبر العشب» في رواندا وبقية وسط أفريقيا في التعامل مع

خطوة إلى الأمام..
نحو صراعلوجيا





خطوة إلى الأمام.. نحو صراعلوجيا

مختلف المستويات الفردية والعائلية والمؤسسية والدولية.

في المقابل، تزداد القناعة بأن دراسات الصراع والسلام لا تزال مثناترة بين علم السياسة والعلاقات الدولية بشكل يكاد يحصرها في الإطار البنيوي فقط، ولا يسخر لها ما يوازنها في سلوك الفرد ونظريات علم النفس الاجتماعي وتأثير الثقافة والدين مثلا على مواقف التعصب والتطرف ونظرية الحروب الثقافية التي انتشرت في حقبة الثمانينات من القرن الماضي. في دراسة بعنوان «العجز النظري في دراسة الحرب»، يوضح توماس كوزاك (Thomas Cusak) أنه على الرغم من أن «الحرب لا تزال مشكلة اجتماعية رئيسية»، إلا أنه من المطمئن معرفة أنه «في العقود القليلة الماضية، كان هناك عدد كبير من الباحثين في علم السياسة والعلوم الاجتماعية الأخرى ممن كرسوا جهودًا كبيرة لدراسة أسبابها وعواقبها»⁴⁰

صراعلوجيا مزيجٌ من «صراع» و«لوجيا» وفي الأصل اللاتيني «لوجوس» (Logos)، ويعني الأرضية والرأي والنداء والكلمة والخطاب والسردية. وأصبح «Logos»

انطلقت في أبحاثي في الأعوام الأخيرة من رسم دائرة أوسع للبحث، وتنوع أدوات التحليل، وتسليط الضوء على مناطق جديدة في سلوك الإنسان ووعيه، وحتى لا وعيه، على أساس القيام بأكبر مجهود من التمحيص والتحري، وأن الصراع قد يبدو غير قابل للتفسير ما لم يكن هامش المراقبة واسعا بما يكفي ليشمل السياق الذي يحدث فيه. ولا يقتصر على مجال العلوم الاجتماعية فحسب، بل يستوعب أيضا جميع المعارف البشرية العلمية والعقلانية والمعرفة الحدسية والعاطفية. وبلورتُ مفهوما بديلا هو «صراعلوجيا» يتوخى تحقيق برغماتية أعلى في تحقيق مخرجات ما يعد به حقل تسوية الصراعات في صيغته التقليدية، بما يقترب من دور الطبيب في تحديد أعراض المرض وأسبابه وتقديم وصفة العلاج للجسم المريض من منظر الطب الشمولي (Holistic medicine). وبالتالي، يمكن اعتبار صراعلوجيا خطوة إلى الأمام على طريق طب المجتمعات والدول والعلاقات الدولية بين شفافية التحليل وبرغماتية الحلول المقترحة للخروج من دوامة الصّراعات والأزمات والعنف على

40. T R Cusak, On the theoretical deficit in the study of war, The process of war. Advancing the scientific study of war, SA Bremer & T R Cusak (eds), Gordon and Breach Publishers, Amsterdam, 1995, p 191.



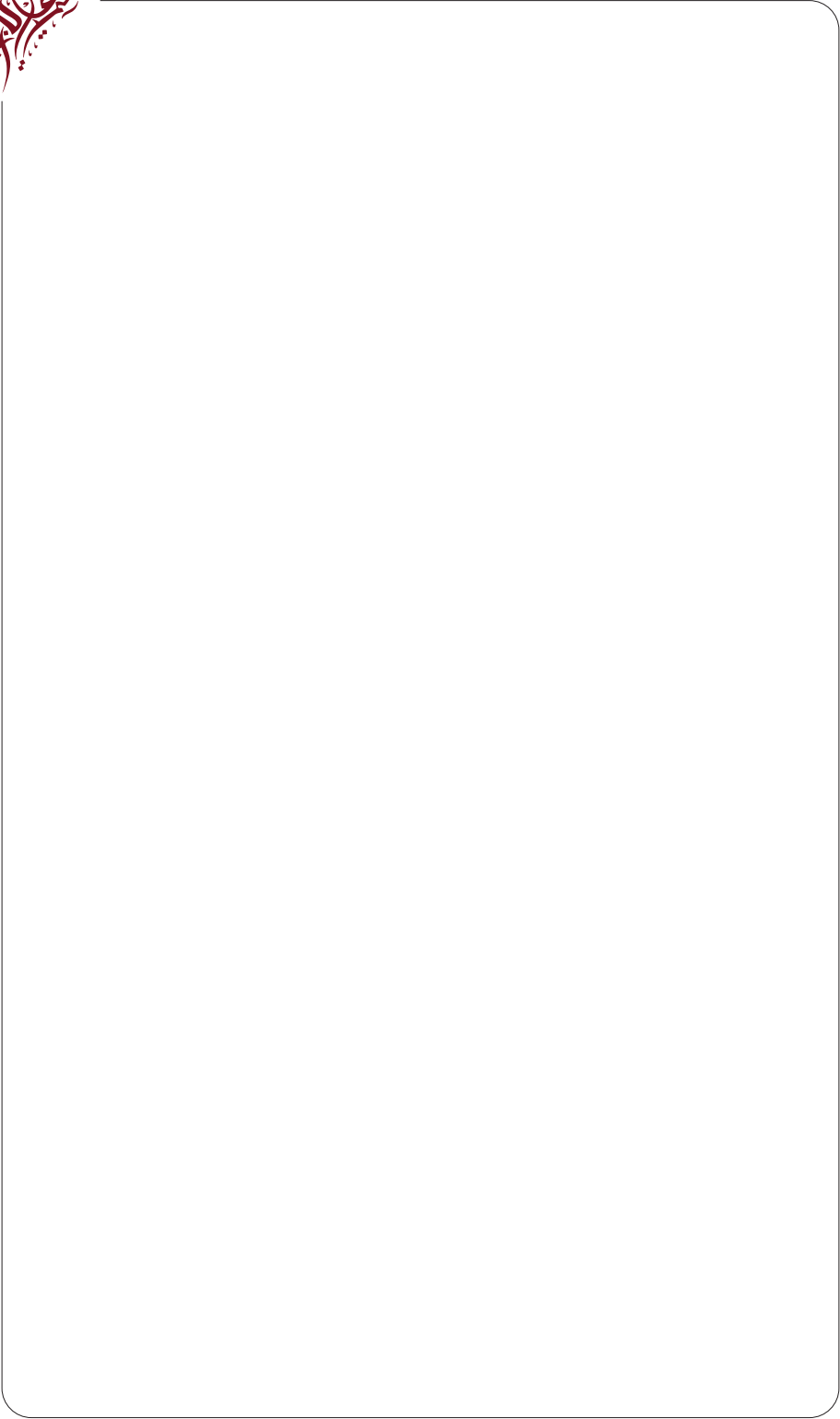
في هذا المجال، وتوسيع المجال لها في المؤسسات الجامعية والديبلوماسية والبحثية من أجل ترسيخه كواحد من التخصصات العلمية، ليس لفهم طبيعة الصراعات الدولية فحسب بل وأيضاً للتوصل إلى حلول عملية.

لا يرمي المفهوم الجديد صوب إعادة تركيب التاريخ النظري لتسوية الصراعات، ولا أن يدافع عن أي «استثناء» عربي أو إسلامي أو شرقي كما لو نحن في حلبة التباري بين «مفاهيمنا» العربية و«مفاهيمهم» الغربية، أو أحقية «أصالتنا» على «معاصرتهم»، أو يجادل بشأن أحقية «الملكية الفكرية» مع الغرب في تطوير معرفة علمية بتعقيدات الصراعات وسبل تسويتها والحد من تداعياتها السلبية. لكنه يتمسك بحتمية التراكمات التاريخية وجدلية التكامل بين ما أنتجته موجات الممارسة عبر العصور القديمة والحقبة الراهنة في التنظير والتدوين في مجال التعامل مع الصراعات.

مصطلحا متواتر الاستخدام في الفلسفة الغربية بدءاً من الفيلسوف هيراكليتس الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد الذي استخدم اللفظ بمعنى النظام والمعرفة. وينسج على هدي سوسيولوجيا، وسيكولوجيا وأثروبولوجيا، وجينياولوجيا، وبقية «ال-----جيات» التي تفرّعت تاريخياً من أمّ العلوم: الفلسفة منذ عهد الإغريق. ويستند الكتاب في تركيزه على تطوير المعرفة بتعقيدات الصراع إلى أربعة منطلقات إبستمولوجية. أولاً، يستمدّ غايته من تطوّر العلوم وتجاوز الفصل بين حقول المعرفة المتشعبة، هو مفهوم «الشبكية» الذي لا يعترف بأي حدود معرفية بين العلوم الاجتماعية والإنسانية والطبيعية، كما تناولها عالم المستقبلات المهدي المنجرة في كتابه «عولمة العولمة». ويمكن تصور مفهوم «صراعلوجيا» بمثابة خطوة ثانية في مسيرة علم اجتماعي مركب من عدة تخصصات، وبلورة مدرسة جديدة



تسوية الصّراعات وبناء السلام



لم يستهدف هذا العدد إعادة تركيب التاريخ النظري لتسوية الصراعات كعلم اجتماعي ناشئ، ولا أن يدافع عن أي «استثناء» عربي أو إسلامي أو شرقي كما لو نحن في حلبة التباري بين «مفاهيمنا» و«مفاهيمهم»، أو أحقية «أصالتنا» على «معاصرتهم»، أو يجادل بشأن أحقية «الملكية الفكرية» مع الغرب في تطوير معرفة علمية بتعقيدات النزاعات وسبل تسويتها والحد من تداعياتها السلبية. لكنه يتمسك بحتمية التراكمات التاريخية وجدلية التكامل بين ما أنتجته موجات الممارسة عبر العصور القديمة والحقبة الراهنة في التنظير والتدوين في مجال التعامل مع الصراعات. لن يفضي النقاش حول أفضلية «مفاهيمنا» أو «مفاهيمهم»، أو غلبة القوة، أو أي من «تخريجات» لمقولة «صراع الحضارات» إلا إلى نزاعات عقيمة الجدوى بين أفراد ومؤسسات يحملون همّ ذاته وتتحدى الصعاب من أجل إخراج الشعوب المتقاتلة من دوامة الموت والتطرف والإقصاء. وقد حان الوقت أيضا للتحلل من نمطية «النزاع العرقي» الذي تستسهله الأدبيات الغربية في وصف جل صراعات المنطقة العربية والمجتمعات النائية الأخرى.

إذا كانت بدايات القرن الحادي والعشرين تتّجه نحو تركيب علم عالمي منفتح على شتى النظريات والممارسات المستوحاة من كافة الحضارات، فإن ثمة حاجة ماسة لتكافؤ الفرص بين الباحثين في إدماج ما تراكم لدى شعوبهم من أدبيات هذا العالم بعيدا عن السجال بشأن أي «مركزية» أنجلو-ساكسونية أو «أقليات» غير غربية أو تكريس الترجمة للمؤلفات العربية. لم يستقر الميزان بعد في إيجاد توازن عملي معقول بين النظرية والممارسة، ولا بين التأطير النظري الأنجلوساكسوني في الغرب وحصيلة الممارسات التقليدية لدى شعوب الجغرافيات الأخرى. لذلك، يظل الباب مفتوحا أمام المنظور الغربي لتسوية الصراعات أن يفتح بشكل مناسب على الإقرار بجدوى تلك الممارسات الأصيلة التي تتداخل فيها الاعتبارات المجتمعية والثقافية المحلية سواء عند العرب أو المسلمين أو البوذيين أو الأفارقة أو غيرهم من المجتمعات التقليدية. وتمس الحاجة أيضا للتوافق على تاريخانية جديدة في تركيب هذا العلم بامتدادات عالمية وانفتاح على سائر الأفكار والمدارس والممارسات. وهي تاريخانية لا تبتعد في فحواها عن أنّ التغيير الاجتماعي أو التطور التاريخي «يخضع لقوانين التعاقب غير المشروطة التي تعطي التاريخ وجهة أو اتجاها» (المعجم النقدي لعلم الاجتماع، 2007) كما تغطي لهذا العلم تواتر روافده التاريخية في استكمال مرحلة التدوين والتنظير.